

ترتيب المعاني في النفس فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتفق وكذلك كان عندهم نظيراً للنسخ والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتجوير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كلٍ حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح . والغرض بنظم الكلم ليس ان توالى ألفاظها في النطق بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل ، ولو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون ان يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالالفاظ على حدوها لكان ينبغي ان لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الالفاظ في النطق احساساً واحداً ولا يعرف احدهما في ذلك شيئاً يجمله الآخر . وربط النظم بالفكر فقال : « وأوضح من هذا كله وهو ان هذا النظم الذي يتوآصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة ، واذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة ويستخرج بالرؤية فينبغي ان ينظر في الفكر بماذا تلبس بالمعاني أم بالالفاظ ، فأى شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والالفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمتك وتصويرك فمحال ان تفكر في شيء وانت لا تصنع فيه شيئاً وانما تصنع في غيره . لو جاز ذلك لجاز ان يفكر البناء في الغزل ليجعل فكره فيه وصلة إلى أن يصنع من الآجر وهو من الاحالة المفرطة . فان قيل : « النظم موجود في الالفاظ على كل حال ولا سبيل إلى ان يعقل الترتيب الذي تزعمه في المعاني ما لم تنظم الالفاظ ولم ترتبها على الوجه الخاص . قيل : « ان هذا هو الذي يعيد هذه الشبهة جديداً ، والذي يحيله عنك أن تنظر أنتصوّر ان تكون معتبراً مفكراً في حال اللفظ مع اللفظ حتى تضعه بجانبه أو قبله وأن تقول هذه اللفظة انما صلحت ههنا لكونها على صفة كذا أم لا يعقل الا ان تقول : صلحت ههنا لان معناها كذا ولدلالاتها على كذا ولأن معنى الكلام والغرض فيه يوجب كذا ولأن معنى ما قبلها يقتضي معناها ، فاذا تصورت الاول فقل ما شئت واعلم